السخرية والاستهزاء وإطلاق الكلمات البذيئة

أولا: السخرية والاستهزاء وإطلاق الكلمات البذيئة كثيرا ما يتلفظ بعض الناس بكلمات لا يهتم بها ولا يلقي لها بالا وقد تهلكه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: { إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب } رواه البخاري . وما أكثر هذه الكلمات التي لا يزنها صاحبها عند المقال، ولا يفكر فيها، وقد تكون كفرا ، وقد تكون معصية، ولكنه لا يقدر لها تقديرا . كثيرا ما يتكلم بكلمة كسُبَّةٍ، أو بهتان أو ظلم، أو غيبة، أو نميمة، أو سخرية أو استهزاء في أمر من الأمور، ولا يتفطن لها فيحكم عليه بالكفر والعياذ بالله. ولقد توعد الله بالوعيد الشديد الذين يسخرون بأهل الخير وبأهل الصلاح، وقد عد الله سبحانه وتعالى السخرية بهم والاستهزاء بآيات الله وبأحكامه وبشرائعه كفرا . ومن الأدلة على خطر الاستهزاء بالله وبآياته وبأوليائه المؤمنين قول الله تعالى عن أهل النار: { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ } . سورة ص، الآيتان: 62، 63 يقولون: إننا كنا نستهزئ بالمتطوعين، ونستهزئ بالمصلين، ونستهزئ بالملتحين، ونستهزئ ونسخر بالمتدينين، ونعدهم أشرارا ، ونعدهم فجارا وضلالا ، واليوم لا نراهم معنا في النار!! أين ذُهب بهم؟! أين أولئك الذين كنا نعدهم من الأشرار، ونتخذهم سخريا ؟! ومن الأدلة أيضا قول الله تعالى: { زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } سورة البقرة، الآية:212 . { وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا } يعني يستهزئون بالمؤمنين وبالمتدينين وبالصالحين، ويسخرون من زهدهم وتمسكهم بدينهم، فلذلك عاقبهم الله تعالى بأن أحل بهم غضبه وعذابه وصاروا من أعدائه. أما أولئك الذين كان يسخر منهم ويستهزأ بهم فهم من أولياء الله الذين أكرمهم بجزيل ثوابه والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتابعون أهل المعاكسات والسهرات على المسكرات ونحوها . ومن الأدلة أيضا ما حكاه الله تعالى عن المنافقين بأنهم يلمزون أهل الخير، فقال تعالى: { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } سورة التوبة، الآية: 79 ويلمزونهم أي: يعيبونهم، وما أكثر الذين يلمزون المطوعين ويعيبونهم! فيعيبونهم مثلا بالصلاة، ويعيبونهم برفع الثياب وتقصيرها، ويعيبونهم بإرخاء اللحى وإعفائها، ويعيبونهم بترك شرب الدخان والخمور، وما أشبهها! وتلك شكاة ذاهب عنك عارها، فالعبادات المذكورة لا عيب فيها، وليس عليك عيب إذا عابك مثل هؤلاء وتنقصوك، وإنما العيب في الذي يعيبك بتمسكك فهو أولى بأن يكون معيبا ذميما . ولقد ذم الله أولئك الذين يستهزئون بالمؤمنين ويلمزونهم، وسماهم مجرمين، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } سورة المطففين، الآية: 29 والذين آمنوا يراد بهم الذين حققوا الإيمان وعملوا الصالحات، وتركوا المحرمات، فالمجرمون يضحكون منهم ويستهزئون بهم قال تعالى: { وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } سورة المطففين، الآية: 30 وقال: { وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ } سورة المطففين، الآيتان: 32، 33 . هكذا تكون حالهم في الدنيا، أما في الآخرة فإن المؤمنين يضحكون منهم عندما يروهم هم الخاسرين. ولا شك أن الاستهزاء والسخرية بأهل الخير هو الكمال الحقيقي بأهل الخير، ذلك أنهم أهل الطاعة وأهل الاستقامة، أما أولئك فهم أهل الضلال والخسران فبماذا يمتدحون؟ أيمتدحون بشربهم الخمور؟ أم يمتدحون بسماع الأغاني؟ أم يمتدحون بحلق اللحى وإعفاء الشوارب؟ أم يمتدحون بترك الصلوات أو التكاسل عنها؟ أم يمتدحون بالغيبة والنميمة والبهتان؟ أم ... أم ... أم ... إلخ . ثم نقول: إنه لا يجوز الجلوس مع هؤلاء الفساق الذين يستهزئون بالمؤمنين ويلمزونهم ويسخرون منهم، كما أخبر الله بذلك فقال: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } سورة الأنعام، الآية: 68 . بل ولا يجوز السكوت على ما يقولونه من السخرية أو الاستهزاء أو الرضا بما يقولونه، قال تعالى: { فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } سورة التوبة، الآية: 96 ولا يجلس مع هؤلاء الأشرار إلا ضعاف الإيمان والذين لم يتمكن الإيمان في قلوبهم. أما من أراد دعوتهم ونصحهم وبيان الحق وأن ما هم عليه باطل فلا بأس بالجلوس معهم بقدر البيان لهم وتحذيرهم، فهو من الدعوة إلى الله.